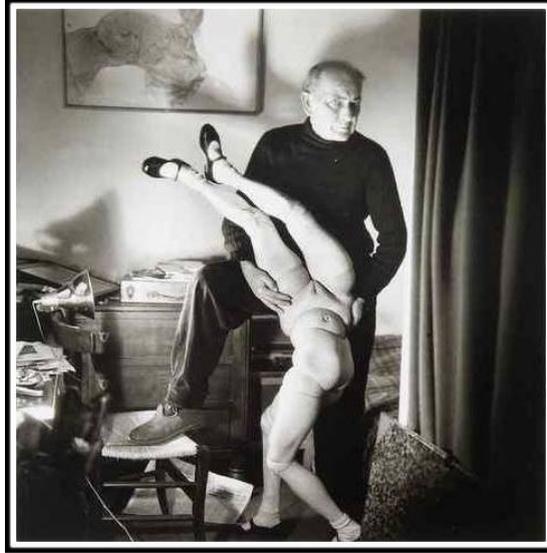


أزهار الشر لدى هانس بيلمر

نور عسوية



إذا كان كتاب « أزهار الشر » لشارل بودليير من أبرز ما كتب في تفكيك القبح والأثام وتحويلها لمادة شعرية هائلة وملهمة ، فإن مقابله في النحت هو أعمال هانس بيلمر Hans Bellmer . كان بيلمر قد صوّر عددا من الرسوم عام ١٩٤٨ لترافق كتاب «الجنة الاصطناعية» لبودليير . ومثلها ، قام برسوم مرافقة لكتاب «السيدة إدواردا» عام ١٩٤١ و «حكاية العين» عام ١٩٥٢ لجورج باتاي ، و كذلك لكتاب «جوستين أو بؤس الفضيلة» لماركيز دو ساد في النسخة الصادرة عام ١٩٥٢ عن دار le soliel noir ، و كتاب «السوريالية ذاتها» لأندريه بريتون الصادر عام ١٩٥٨ ، المسبوق بغلاف لمارسيل دوشامب للإصدار الأول عام ١٩٤٧ لبيان السوريالية ليريتون أيضاً ، فكان عمل دوشامب يحمل عبارة « الرجاء للمس » وهو تمثيل لثدي منفذ بمادة لدنة و درجات لونية تحاكي الواقع ، وكذلك في إصدار تالي عن السوريالية حيث احتوى الغلاف على صورة عمل نحتي لدوشامب عبارة عن طبعة مصبوبة عن عضو أنثوي . تتميز كل هذه الكتب بنزعتها المتطرفة في طرح الجنس و تحويل هذا الموضوع إلى مفهوم فني أو أدبي في الحاليتين. ليست الجرأة أكثر ما شهر هذه الأعمال ، إنما تأجج نجاحها بالدرجة الأولى لأنها مثلت ،من خلال خطاب الكاتب مع ذاته وانفتاحه عليها ، رغبات موجودة بالفعل و على نحو واسع لدى البشر لكنها رغبات محيطة بالضوابط البديهية لكل مجتمع. كان جان بول سارتر قد قدم لكتاب أزهار الشر قائلاً : « لبودليير مسافة جوهرية تفصله عن العالم ليست هي مسافتنا نحن ، فبينه وبين الأشياء تتدخل دائماً نصف شفافية لزجة قليلاً، معطرة كثيراً، كأنها ارتجاف هواء الصيف الحار وهذا الشعور المراقب والذي يشعر بأنه مراقب وهو يقوم بأعماله العادية » (من ترجمة حنا و جورجيت الطيار) . بيلمر يشبه بودليير في

استكشاف ذاته و استنهاض قصى قدراته على التعبير، و تحرير ذاكرته البصرية و الحسية لإنتاج عمل يتطرق بتفاصيله لأدق تفاصيل جنوح الرغبة ، أو بتعبير أصدق الرغبة بحقيقتها . لكن هذه الرغبة لم تعد أول ما نراه في منحوتات ورسوم هانس بيلمر ، إنها محرّك لمنهجية عمله ، هذه المنهجية التي تعتمد التركيب و الخلط و المراكمة العشوائية لأجزاء الجسد و تقرّح الأعضاء و تربيطها و ثنيها ، تشبه إلى حد بعيد تراصّ الصور لدى بودلير : « أتذكرين يا نفسي الشيء الذي رأيناه ، ذات صباح صيفي منعش ، على منعطف طريق ضيق، هذه الجيفة الكريهة الراقدة على سرير من حصى، ساقها إلى الأعلى كالمرأة الشبقة، تحترق وتتفتّ السموم وتكشف عن جوف مفعم بالروائح المنتنة ، بقحة وبغير اكتراث ، كانت الشمس تضيء فوق هذا العفن ، كأنما تريد أن تنهي طهوه ، لتعيد إلى الطبيعة العظيمة ، أضعاف ما جمعته منها » (من الترجمة ذاتها). إن كتل المنحوتات لدى بيلمر ، إذا جرّناها من هويتها البشرية ، لهي كتل وديعة متراخية ، ليس فيها ما يחדش البصر ، لكن حقيقتها التي تخاطب ذواتنا وبالأصل ذات الفنان مفزعة . اليوم تنتشر جمالية التطرف بشكل واسع و مسيطر خصوصا في النحت ، والأمثلة كثيرة خصوصا في النصف الثاني من القرن العشرين .